بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه الكريم

وزارة الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي

خطبة موحدة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله وعلى آله الأخيار وصحبه الأطهار..

قال الله جلّ وعلا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} هذه آية من سورة الحُجُرات، التي عُنِيت ببيان الأخلاق كما يُحِبُّها الله ويُريدها لعبادِه المؤمنين، تُعلِّمنا السورة كيف نُعامل الله ورسولَه، وكيف يُعامل بعضُنا بعضا، ويتكرَّر فيها النّداء؛ تنبيها على أهمّيّة كلّ أوامرها ونواهيها، وهذا النداء: {يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى..} جاء لتأديب المؤمنين على اجتناب ما كان في الجاهلية من إعجابِ كلِّ قبيلةٍوفَصيلةٍ بفضائلها، وتفضيل قومها على غيرهم، وتحقير بعضهم لبعض، فجاء القرآن لاقتلاع جذور تلك الجاهليّة الباقية في النفوس؛ بسبب اختلاط طبقات المؤمنين بعد عامِ الوفود إذ كثُرَ الداخلون في الإسلام من كلّ القبائل والنواحي.

وسبب نزول هذه الآية كما يروي أهل التفسير أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَرَ بني بياضة (من الأنصار) أن يزوجوا أبا هند (مولى بني بياضة واسمه يَسَار) امرأةً

منهم فقالوا: نُزوّج بناتنا موالينا!، فأنزل الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا..} الآية.

إنّ من المفاهيم العظيمة التي صحّح الإسلام للبشريّة إبطالَه لكلّ معايير التفاضل المبنيّة على النّسب واللون والخِلقة.. ونحوها ممّا ليس للإنسان فيه كسُبٌ، فجعل الإسلام التفاضلَ بأمر واحدٍ هو التقوى والعمل الصّالح ممّا يستطيع كلُّ إنسان أن ينافِس فيه بكسبه وجُهدِه {إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم} وقضى الإسلام بنصوصه الصريحة القاطعة على تلك المعايير المنحرفة التي جرَّت إلى البغضاء والتقاتل. أيها المسلمون.. إنّ دينَنا يدعو البشريّةَ إلى أن تثوب إلى الرشد وأن تتنافس في مرضاة الله بعبادته ومنفعة عباده؛ فبهِما تكون السيادة في الدُّنيا، وتُنال الكرامة عند الله في الأخرى، كما يُعلّمنا دينُنا أنّ أصلَ خِلقتِنا واحدٌ (أبٌ هو آدم، وأمٌّ هي حوّاء) قال صلى الله عليه وسلّم: "الناس لآدم وآدمُ من تراب"

الناس من جهة التمثيل أكفاء		**أبوهمُ آدمٌ والأمُّ حوَّاء**
فإن يكن لهمُ في أصلهِمْ نسَبٌ		**يُفاخِرون به فالطِّينُ والماء**

فلا سبيل في الإسلام إلى نيلِ كرامةٍ ولا منزلةٍ إلّا بالإيمان والعمل الصالح،وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وآله وسلم: "كرم المؤمن دينه، ومروءته عقلُه، وحسَبُه خلقه"

وقد خطب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ في حَجَّة الوَداعِفقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحدٌ، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربِيٍّ، ولا لأسود على أحمرَ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى" (أحمد والبيهقي)

وخطبهم صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكّةَ فقال: «إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّةَ[1] الجاهلية وفخرَها بالآباء، النّاسُ مؤمنٌ تقِيٌّ أو فاجر شقِيٌّ، أنتم بنو آدمَ، وآدم من تراب»(الترمذي).

أيُها المسلمون.. لقد بيّن الله علَّةَ جعلهالناسَ شعوبا وقبائل، والحكمة من هذا الجعل أن يتعارف الناس {لتعارَفوا} أي يعرف بعضُكم بعضا، والتعارف يحصل بما يكون بين كلِّ قوم من المصاهرة والانتساب، ويتدرَّج طبقةً طبقةً.. وهو السّبب في انتقال الحضارات والمعارف بين الإنسانية. وإنّ البشريّة حين تجعل اختلاف ألوانها وأنسابها أو ألسنتِها مَدعاةً للتفاخر المذموم والتفاضل المزعوم، تحرِّف الفطرة وتُسَبِّبُ فسادَ حياتها وخرابَ عُمرانها؛ فالتنوُّعُ آية صادحةٌ بكمال قدْرةِ الخالق سبحانه، داعيةٌ إلى أن يتوحَّد عبادُه تحت راية توحيده وعبادته، لا أن يختلفوا ويتنازعوا فيفشلوا ويهلَكوا، ولهذا حارب القرآن كلّ ألوان العنصريّة والطبقيّة المناقضة لمبدإ الإسلام الذي جعله الله دينا للبشريّة جمعاء، وفضّل رسوله بأن بعثه للناس كافة قال صلى الله عليه وسلم "كان النبيّ يُبعَثُ في قومه وبُعِثتُ إلى الناس كافّةً" (صحيح مسلم).

عبادَ الله.. لقد جبر الله كسرَ البشريّة بالإسلام وقال عزّ وجلّ: {واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا} فردهم إلى الفطرة التي فطرهم عليها وكذلك يفعلُهذا الدّينُ العظيم.

---

[1] العِبِّيّة بضمّ العين وكسْرها ومعناها: الكِبْرُ والفخْرُ.